تجليات الشعرية العربية بين أدونيس وصلاح عبد الصبور

د. عبد الحميد معيفي جامعة الطارف

الملخص :

لا شك أن مدارات الشعرية العربية قد أخذت حضا وافرا من الدراسة قديما وحديثا، لأن العقل العربي قائم أساسا على الشعر، وإذا كانت الشعرية العربية القديمة ممثلة في الجاحظ وابن قتيبة والجرجاني وغيرهم، فإن الشعرية العربية المعاصرة، قد تنوعت أشكالها، وتعددت صورها، خاصة مع ظهور الشعر الحر والقصيدة الجديدة، ولعلَّ أدونيس وصلاح عبد الصبور يعدان من المنظرين المشهود لهم للشعرية العربية نقدا وإبداعا، من هذا المنطلق ستحاول الدراسة تلمس تجليات الشعرية عندهما، وتحققات ذلك في آرائهما.

الكلمات المفتاحية : التجلي؛ الشعرية؛ العرب؛ أدونيس؛ صلاح عبد الصبور.

Abstract:

It is doubtful that the orbits of Arabic poetry have taken a lot of study from ancient and modern, because the Arab mind is based primarily on poetry, and if the ancient Arabic poetry is represented in al-Jahiz, Ibn Qutaiba, al-Jarjani and others, the contemporary Arabic poetry has varied its forms, Free poetry and the new poem, and perhaps Adonis and Salah Abdel-Sabour are considered to be the famous theoreticians of Arab poetry in criticism and creativity, in this sense the study will try to touch the manifestations of poetry, and the difficulties in their views.

Keywords:

Transfiguration; Poeticism; Arabs; Adonis; Salah Abdel Sabou

إن الشاعر الكبير حينما يُسأل عن شعره في كثير من الأحيان يتجنب هذه الأسئلة وفي أحيان يصمت؛ لأنه لا يجد إجابات كي يرد بها عن فضول المتسائلين، وهذا الصمت يمثل في حد ذاته إجابة؛ لأنه يقال: بأن الصمت أبلغ من الكلام في بعض الأحيان .

ومن هنا سنحاول أن نتكلم في هذه الدراسة عن تجلي الشعرية عند شاعرين كبيرين " على أحمد سعيد " المعروف "بأدونيس "، وصلاح عبد الصبور:

الشعرية عند أدونيس :

يعدُّ أدونيس من الشخصيات النقدية والأدبية التي أعطت للشعر الحديث لونا جديـدا و حمّلته بالرموز والإيحاءات، وكساه حلّة الغموض، حتى صار في صلبه طلاسم يعجز المتلقي عن فك هذه الرموز ويغيب عنه المعنى، و" أدونيس " مال كثيرا إلى القصيدة الحديثة، ويرى بأنها أكثر شاعرية أو شعرية من القصيدة القديمة، فهو يرى بأن الشاعر الحديث يكون أكثر تحررا ، و" الشعر القديم في نظر أدونيس بناء مفكك لا يقوم على وحدة الشعور والموضوع، فمن سماته استقلالية أبياته عن بعضها البعض، وافتقاره لخيط داخلي يشد أجزاء القصيدة كما أن الشكل الخارجي للقصيدة القديمة يوهم كثيرا من القراء بتناسقها وهندستها " [1]

كما أن القصيدة العمودية في نظره أجزاء متناثرة و كل جزء ليست له علاقة ببقية الأجزاء، مما قضى على وحدتها العضوية وبذلك انفصلت أجزاؤها رغم أن شكلها يبين عكس ذلك، وبذلك فهي في نظره خالية من الشعرية، رغم أنه لا ينفي أنها من الشعر، وهذا الرأي أسنده بعدة أحكام يهاجم فيها القصيدة العمودية، التي في نظره قصيدة منغلقة على نفسها، وهذا الانغلاق يقتل في نظره الشعرية التي هي عماد الشعر وقوامه، وهي الرابطة والسلك الخفي الذي يربط الشاعر بجمهوره، و" غالبا ما نجد أدونيس يقوم بعملية موازنة بين ماهية الشعر الحداثي الجديد وماهية الشعر القديم حتى يوضح رؤيته و تصوره أكثر حول هذا النوع من الشعر الجديد ويتحدد موقفه منهما، فالشعر القديم يأخذ في كتابته عدة أسماء كـ " التنميط " " الكتابة المحافظة " أو القصيدة المغلقة، وفي المقابل نجده يعطي تسميات متنوعة للشعر الجديد " الكتابة التغييرية و القصيدة المنفتحة، وأدونيس عندما يقوم بمثل هذا التمييز نلحظ دقة رؤيته و عمق إحساسه بالفروقات.

---

[1] . سعيد بن زرقة : الحداثة في الشعر العربي (أدونيس أنموذجا) أبحاث المترجمة و النشر و التوزيع ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 2004 م ، ص 161 .

وإن شاعرا كأدونيس له باع كبير في قول الشعر، ورغم ذلك إلا أنه يحاول التخلص من القصيدة العمودية،

أو بالأحرى يحاول الابتعاد عنها وكأنه يدعونا لتركها والتمسك بالقصيدة الحديثة ، التي يراها أكثر توسعا

وانفتاحا، وبذلك أكثر نضجا من القصيدة العمودية، ويقدم بعضا من الفروقات التي يوافقها فيها البعض، والبعض الآخر يخالفه، وفي هذا الاختلاف نلحظ بأن الآراء تتضارب في القضية الشعرية عند الملاحظين والشعراء والنقاد

ويبقى رأي أدونيس في هذه القضية وجهة نظر قد يؤخذ بها وقد لا يؤخذ بها، ما دام لم يتفق النقاد على تعريف موحد للشعر، وكذلك لم يجمعوا على تحديد واحد لمفهوم الشعرية، فالأحكام تبقى نسبية .

كما أن حكم أدونيس يبقى فيه ميل كبير لكل ما هو حديث، فهو يقول:" القصيدة الحديثة (الطليعية) خلق، تقدم للقارئ ما لم يعرفه من قبل، في بنية شكلية غير معروفة وهي إذن لا تعكس، وتلك هي الخاصية الجوهرية للشعر الحديث إحلال لغة الخلق محل لغة التعبير " [2]، فلغة الخلق التي تمثل على حسب رأينا الإبداع، أي الإتيان بكل ما هو جديد على عكس التعبير الذي يعتمد على مجرد العملية الوصفية والتي لا يستطيع أن يتجاوزها وكأنه يقول: بأن الشعرية، أي ما يهز المتلقي ليس مجرد التعبير السطحي، أي نقل الأشياء كما هي، وإنما الشعرية في إحداث الدهشة عند المتلقي، أو هي بعبارة أخرى اهتزاز المتلقي وجعله يعجز أمام هذا الإيحاء والخلق الجديد المبهر، وهو بهذا يشجع الابتكار ومفاجأة المتلقي، فإذا قدمت للمتلقي ما يعرفه بطريقة جديدة فأنت لم تضف شيئا و" كانت القصيدة القديمة تعبيرا تقول : المعروف في قالب جاهز و معروف فهي تعكس واقعا و أفكارا " [3]،وكأنها في نظره لا تضيف لرصيد المتلقي الجديد على عكس القصيدة الحديثة فهي عنده تتمتع بالنضج في المبنى والمعنى؛ لأنها تعتمد على التصوير

---

[2] . أدونيس : زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1983 ، ص 19 .

[3] . أدونيس : زمن الشعر ص 18 .

والإيحاء وتقدم للمتلقي أشياء لم يكن على علم بها مسبقا .

كما أن أدونيس يعتبر "... دوران الشاعر في واقع محدد مرسوم بعناية فائقة قتل وإجهاض للشعر لأن الشعر حسب رؤيته ليس نقلا للمعروف و تصويرا للمرئي والمنظور فقط بل وظيفة الشعر هي التغلغل في أعماق الأشياء والبحث عن أسرار لم تكشف بعد ..." [4] ، فالشاعر في نظره إذا أراد لشعره الخلود عليه أن لا يسلك مسارا واحدا وإنما يسلك العديد من المسارات المتشابكة والمتعددة حتى يترك المتلقي في حيرة من أمره أي أن ما علمه المتلقي في هذه اللحظة أدهشه؛ لأنه لم يسمع به من قبل من جهة، وكذلك لا يمكن أن يأتي بمثله من جهة ثانية ،" فالشاعر هو بمثابة العالم الأثري أو عالم الحفريات الذي يغوص بالآلة تحت طبقات الأرض ليكشف أثارا كانت محجوبة وعن أشياء كانت مغمورة ..." [5]

فالشعر عنده يحتاج إلى كشف مستمر وتنقيب متواصل في أماكن لا نعرفها ولا يمكننا أن نعرفها أبدا، فالشخص الوحيد الذي يحق له بأن يتعرف على هذه الأماكن هو الشاعر، وهو الوحيد الذي باستطاعته أن يجعلنا نعرفها من خلاله، ومن هنا يبين لنا الدور الكبير الذي يخص الشاعر، فهو إنسان متميز ويجب أن يكون في مستوى هذا التميز " فهو يدعو الشعراء إلى تخطي هذا الواقع الواضح وإلى تجاوز القشرة المكشوفة إلى كينونة النفس والذات بحكم أن لكل شاعر واقعه وذاته الخاصة كما أن له عالمه المميز ... هذا الواقع تعكسه حساسية و رؤية عميقتين ... فالشاعر مبشر دائم بواقع جديد ... بواقع أخر أكثر نصاعة و أكثر و وضوحا ..." [6]

إن أدونيس يدعو الشاعر إلى تجاوز كل ما هو سطحي، والنفاذ إلى الأعماق ليصبح مكتشف الأسرار الكامنة بأعماقنا، فهو ينطلق من واقعه الخاص وينفذ إلى عوالم الآخرين ليعكس هذه الصور الداخلية، ويجعل من العالم الداخلي عالما جديدا يبعث فينا

---

[4] . سعيد بن زرقة : الحداثة في الشعر العربي (أدونيس أنموذجا) ، ص 202 .

[5]. المرجع نفسه : ص 202 .

[6] . المرجع نفسه : ص 203 .

الأمل والاستمرارية والمواصلة، وهذا دور الشاعر في نظر أدونيس؛ لأن الشاعر بهذا العمل يجعل من شعره وثيقة رسمية ترى المجتمعات حقائقها مرسومة في ثناياه .

كما أن الشعر عند أدونيس ليس مجرد وزن وقافية، وإذا حكمنا أو قيدنا أو عرّفنا الشعر بهذا، فإننا في نظره قد شوهنا صورته وفي هذا التشويه قتل له وإن لم يكن قتلا فهو غلق، إذا " الشعر هو الكلام الموزون المقفى، عبارة تشوه الشعر فهي العلامة والشاهد على المحدودية والانغلاق " [7]، فنحن معه في هذا الطرح ؛لأنه فعلا الوزن والقافية ليس دليلا كافيا على أنهما إن وجدا في الكلام ،فهو بطبيعة الحال شعر، فالشعر أعمق من ذلك، إنما الوزن والقافية عاملان مساندان للعديد من العوامل التي تشترك كلها في إنشاء الشعر؛ لأن " الشعر لا يمكن في أي شكل مفروض أو محدد تحديدا مسبقا، ثم إن في النظم شيئا آخر ،فهناك شعر جميل ليس منظوما وهناك نظم جميل لا شعر فيه ..." [8]

من هنا يحدد أدونيس نظرته إلى الشعر معتبرا القصد في قول الشعر خطأ؛ لأن الشعر عنده لا يولد في رحم التحديد المفروض، والأشكال الجاهزة والمعدة مسبقا، وفي كلامه هذا نلاحظ أنه يرمي إلى القول بأن شعرية النص تفقد مصداقيتها وتتلاشى في هذا التحديد المفروض؛ لأن الشاعر يُرغم الكلمات على أخذ مسار ليس مسارها، ولهذا يرغم نفسه قبل ذلك بحسب قول " أدونيس " على التأليف في شكل مفروض ومحدد مسبقا .

ومن هنا يدعو الشاعر إلى التحرر من كل القيود التي من شأنها أن تعرقل وتحد من شاعريته؛ لأن الدفق الشعوري للشاعر يجب أن يبقى حرا حتى تكتمل التجربة الشعرية، وبذلك يشجع الشعراء بأن يكتبوا القصيدة الحديثة حتى يجدوا أنفسهم أكثر، وتكون خلاصة تجاربهم أكثر نضجا، ويقول : " ...إن الشكل الشعري الجديد هو بمعنى ما عودة بالكلمة العربية إلى سحرها الأصلي و إيقاعها وغناها الموسيقي الصوتي القريض

---

[7] . أدونيس : مقدمة الشعر العربي ، دار العودة ، ط2 ، 1975 ، ص 111 .

[8] . المرجع نفسه :ص 116

قواعد ومقاييس كانت جميلة أو ضرورية في حينها ونحن نتجاوز القريض إلى الأساس الذي انبثق عنه أعني الكلمة العربية و إيقاعها " [9]

إذا فالشعر عند أدونيس يرقى إلى مستوى عال من الشعرية إذا وظف الشاعر الكلمة الحقيقية، التي تحمل سحرها في نفسها، ويستطيع الشاعر أن يوظفها في السياق المناسب لأن السياق يجعل الشعر متواصلا، كما أن هذه الكلمة لها الإيقاع المناسب الذي يهز المتلقي ولها كذلك رنة موسيقية جذابة، وهذه العوامل من شأنها أن تثري النص الشعري الحديث وتجعله أكثر ثراء، لغويا وجماليا وبنائيا في نظره، ولهذا يحقق الشاعر هدفه و يمرر رسالته الشعرية في قالب جميل وعذب، يمتع ويفيد في الوقت نفسه، وهذه أولى غايات الشعر .

كما أن أدونيس يتكلم عن القصيدة الحديثة ويشجع أصحابها ويعلي من شأنها كثيرا وهي المثال الأعلى

والأجمل الذي يؤيده ويعمل به قائلا، وهي " ...التي تتعانق فيها بالتالي حدوس الفلسفة والعلم والدين ..." [10] ، فالقصيدة تصبح في نظره عبارة عن حوار بين ما هو فلسفي علمي ديني وهي ثلاثة أقطاب سامية تسعى في تركيب هذه القصيدة لتصبح متكاملة وناضجة عنده، وهو بهذا ابتعد عن القصيدة العموديـة التي " ...ينعتها بعدة صفات تتكرر في كتاباته النقدية، من هذه النعوت، الثبات وعدم الحركية البعد الأحادي في تفسيرها وهذا البعد الضيق هو الذي يقضي على شاعريتها لأنها تعد قابلة لتعددية التفسير و التأويل " [11] ، ويتكلم " أدونيس " عن القصيدة العمودية بشيء من الإقصاء؛ لأنها عنده ثابت لا يؤثر وتمتاز ببعد فردي و وحيد، وهذا من شأنه أن يجعلها أكثر تقوقعا و أكثر ثباتا و لها بعد واحد أيضا، وهذا البعد يمتاز كذلك بالضيق، وهذا الضيق يجعل شاعريتها محدودة بل ميتة في نظر أدونيس، وهذه الشاعرية لا تقبل التأويلات، وبهذا تؤول القصيدة العمودية عنده إلى الجمود والتحجر.

---

[9] . أدونيس : مقدمة الشعر العربي ، ص 15 .

[10] . المرجع نفسه : ص 117 .

[11] . سعيد زرقة : الحداثة في الشعر العربي (أدونيس أنموذجا) ، ص 161

ويوضح " سعيد بن زرقة " نظرة أدونيس إلى القصيدة العمودية ومقارنتها بالقصيدة الحديثة مفسرا ثباتها عند أدونيس قائلا :" و قد يعود هذا العمل إلى طريقة رصد الشاعر القديم للأشياء الخارجية بأمانة و صدق ، دون محاولة منه القيام بعملية انحرافية أثناء التعبير عن الشيء الملتقط عكس الشاعر الحداثي الذي تحول من الخارج إلى الداخل من عالم الطبيعة إلى طبيعة النفس مما أكسب شعره تفجرا في معانية و غموضا سحريا كسحر النفس " [(12)] ، ومن هنا نجد " بن زرقة " يوضح ما قاله " أدونيس " بأن القصيدة العمودية تنقل الواقع كما هو دون زيادة أو نقصان، فقائلها أمين في نقلها والنقل لا يجعل شيئا اسمه التأثير، وبذلك تفقد القصيدة العمودية مهمتها، وهي الإفادة والمتعة على عكس القصيدة العمودية الحديثة المتفجرة بالمعاني الرمزية وبالعبارات الفخمة، التي تجعل الرباط وثيقا بينها وبين المتلقي، مما يجعلها قادرة على التأثير والتغيير؛ لأن فيها حسب وجهة نظر أدونيس من الشعرية ما يجعل المتلقي ،وكأنه في عالم آخر عالم مليء بالمتناقضات وسحر الكلمات .

فنظرة أدونيس إلى الإبداع، كانت نظرتين نظرة إلى الإبداع القديم ونظرة إلى الإبداع الجديد.

وإذا قلنا الشعرية عند أدونيس فيتبادر إلى أذهاننا بأن الشعرية توجد إلا في القصيدة الحرة والحديثة ، أما ما هو قديم فلا شعرية فيه عنده، وهذا رأي فيه شيء من التعصب للجديد، ونحن نعلم بأن الجديد ما ظهر إلا باتكائه على القديم ، ونرى كذلك بأن الحاضر هو امتداد للماضي، وإذا أردنا الإنصاف نقول: بأن الشعرية تكونها عوامل داخلية تخص النص الأدبي في حد ذاته، وعوامل خارجية، وتخص المؤلف ،والنص القديم له عوامله الداخلية إضافة إلى العوامل الخارجية ، فهو نص مفعم بالشعرية.

أما إذا رجعنا إلى آراء أدونيس، نجد فعلا القصيدة الحديثة أكثر تحررا، ولكن هذا العامل لا يعطينا الحق بأن نقول : بأنه وراء ظهور الشعرية، فربما التحرر يُخرج النص عن سياقه وعن هدفه ،ويحيد بالنص عن معناه، وبذلك يفقد النص الكثير من رونقه الجمالي .

---

[12] . المرجع نفسه: ص 161 .

وتبقى القصيدة الحديثة في نظر أدونيس، هي المستقبل ،لأنها في نظره قصيدة حالمة تقدم لك ما أنت تجهله في قوالب مختلفة، وهذا التنوع يراه أدونيس هو الإبداع، فالسير على وتيرة واحدة ليس إبداعا في نظره، والقصيدة الحديثة لها لغة خاصة، فهي القادرة على الغوص بالأعماق و كسر كل الحواجز لتكشف لك عن المجهول و تضعه بين يديك فهي تحقن وتتوغل بالأعماق كاشفة كل ما هو غامض، وهذا حسب وجهة نظره .

فهو يريد من الشعراء أن يتجاوزوا هذا الواقع والوصول إلى واقع أكثر جمالا وأكثر واقعية لأن الشاعر حسب رأيه كلما تحرر صار أكثر وضوحا وهذه المقطوعة تبين تحرر أدونيس الذي يتجاوز كل الحدود حين يقول : [13]

من أنت، من تختار يا مهيار
أنّى اتجهت الله أو هاوية الشيطان
هاوية تذهب، أو هاوية تجيء
والعالم اختيار
لا الله اختار ولا الشيطان
كلاهما يغلق لي عيني
هل أبدّل الجدار بالجدار

إن التحرر الذي يدعوا إليه " أدونيس " تجاوز المدى، فهو يعبث بكل شيء حتى المعتقدات الدينية يكسرها ، وبرغم أن هذه كلمات، إلا أن في الكلمات معان و رموز من خلالها يبث " أدونيس " أفكاره ، وبأن يتجاوز كل معتقد ديني، وبرغم ذلك فهناك إبراز لقيمتين اثنتين تتصارعان على الدوام، وهما قيمة الخير و قيمة الشر .

وكأنه يطرح أمام المتلقي فكرة التصادم بين هاتين القوتين، وما على الإنسان إلا أن يختار جانبا من الجانبين، إما أن يسير في اتجاه الخير، وإما السير في اتجاه الشر وتبقى المقطوعة غامضة و هذا ما يريده أدونيس .

---

[13]. أدونيس : أغاني مهيار الدمشقي، الأعمال الشعرية، دار المدى للثقافة للنشر، بيروت، 1996، ص 177 .

الشعرية عند صلاح عبد الصبور :

إن الشعر حيّر النقاد كثيرا، وحيّرهم أكثر قبل أن يكونوا نقادا، أي حين كانوا شعراء فقط ؛لأن الكثير من الشعراء كتبوا الشعر، ولم يحاولوا معرفة هويته، ومن حاول منهم معرفة ذلك ،لم يصل إلى القناعة التامة، ووضع تعريف شامل يكون هو آخر تعريف للشعر، ولكن يبقى الشعر يستقبل التعريفات على مر الزمن؛ لأنه شيء سحري زئبقي يصعب مسكه أو محاصرته، ونجد أحد الشعراء الكبار وأحد النقاد المعترف بنقدهم يخوض في هذا المجال، ويتكلم عن الشعر كلا ما جميلا وعذبا مثله مثل شعره الرائع والعذب .

فصلاح عبد الصبور يتكلم عن الشعر وعن الشاعر في حد ذاته، ويعطي للشاعر قيمة كبيرة؛ لأنه يعرف أهمية ما يقول، وببساطة هو شاعر كبير، فيعرّف الشاعر قائلا بأنه " مكتشف عظيم في عالم الجمال والوجدان، لأنه يرى الأشياء والأحاسيس رؤية طازجة وليست نظرة وليدة المنطق، أو العلم، ولكنها وليدة الحدس وليست أدواته هي التحليل و التركيب، بل هي الخيال المصيب " [14] ،فالشاعر العظيم، تجده يسبح دائما في عالم الجمال بمجدافي الخيال، راسما من هذا العالم أجمل اللوحات، إنه الرسام الحقيقي الذي يعطي لهذه اللوحات أبعادا لم تكن موجودة، فهي من ابتكاراته ،إنه مبتكر حقيقي يجعلنا نسير في الظلمة بعيون مبصرة، ويرينا الأشياء على حقيقتها دون زيف، فيقوم بعملية تعرية الحقائق والكشف عنها، لا يهاب المجهول يدعونا للتقدم والتوغل، يجعلنا نسير بخطا ثابتة نحوى الأفق، نصعد في سلم الرقي والازدهار دونما خوف من المجهول.

[14] . صلاح ع الصبور : قراءة ثانية لشعرنا القديم ، منشورات اقرأ ، بيروت ، لبنان ، ص 16 .

إن شخصا ينحت من نفسه كي يجعلنا نسعد هو شخص جدير بالاحترام والتقدير، ويقدم صلاح الصبور الدليل على ذلك بقوله " ...لقد كانت الحياة جديرة بأن تصبح عماء ساكن السطح عديم الإدراك لانفعالاته الباطنة لولا الشعر " [15] ، فالشعر في نظره هو الوثيقة الصحيحة، وهو المفتاح الذي نفتح به باب الحياة، ومن خلاله يمكن لنا التوغل بخبايــاها والكشف عن حقيقة أسرارها، فهو في هذه الحالة يشبّه الحياة بالليل ،ويشبّه الشعر بالنور الذي يكشف

ويزيل ستار هذا الليل وهذه الظلمة ،إنه تشبيه جميل لشيء جميل اسمه " الشعر " الذي جعل الحياة خصبة بعدما كانت بورا قاحلة جرداء ،إنه الوحيد القادر على إعطاء الحياة هويتها الحقيقية ، هذا هو الشعر في نظر صلاح عبد الصبور .

إن الشاعر في نظره هو الذي يمكن له في لحظات الإبداع أن يتقمص شخصية الفيلسوف حتى وإن لم يكن في الأصل فيلسوفا، لكن الشاعر له القدرة على صنع ذلك وهذا بتميز وتفرده وقراءاته للأشياء المحيطة وبراعته في التعامل معها وتكييفها بإحساسه الصادق وتوجيهها الوجهة الصحيحة، ويعني في معنى بعض أقواله، بأنه لا يجب على الشاعر أن يكون فيلسوفا، وإنما يريده أن يتقمّص شخصية الفيلسوف، كي يتمكّن من رسم التصور المناسب لهذا الكون، وأن يكون هذا التصور خاصا به وحده لا يشاركه أحد في هذا التصور؛ لأنه مبني على قراءة وثقافة وتجارب و وراثة ومزاج كلها خاصة به، فلو أن كل شاعر عظيم له تصور للكون خاص به، لسلّم كل واحد من الشعراء لنا مفتاح باب من أبواب الحياة، فلا نتزاحم على باب واحد ومفتاح واحد .

فالتجارب الصادقة والقراءة المعمقة والثقافة العالية كلها تعمل على صنع شاعر له مميزات الفيلسوف ومميزات العالم ومميزات المؤرخ، فشاعر بهذه المواصفات هو شاعر الماضي والحاضر والمستقبل، شاعر عاش وعايش تجارب الآخرين، ثم جمعها كلها في تجربة واحدة فصارت موحدة ليصبح ناطقا باسم الجميع ،"... و التجربة الشعرية عندئذ جديرة بألا تصبح تجربة شخصية عاشها الشاعر فحسب بحواسه و

---

[15]. المرجع نفسه :ص 15 .

وجدانه ،بل هي تمتد لتصبح تجربة عقلية أيضا تشمل على محاولة اتخاذ موقف من الكون و الحياة .."[16] .

والشاعر في هذه الحالة حينما يتفوق على كل العراقيل، ويصل إلى درجة أخذ موقف من الحياة بمجرياتها المتشعبة وصراعاتها المختلفة ، ووصوله إلى ذلك كان مبنيا على تجميع ذاته وتجميع تجاربه العديدة، التجارب الوجدانية والنفسية والعملية السطحية والعميقة، ليكوّن بعد ذلك ذاتا لها إرادة عظيمة وعزيمة فولاذية، وبتفوقه على التجارب الداخلية بعد معاناة كبيرة مع الانتصارات والهزائم، ليصل بعد العناء إلى مرحلة يصبح فيها سيّد نفسه، وسيدا لتجاربه، فيعالج الأمور بعقله، لتصبح له تجارب عقلية، وهي التجارب الأعلى شأنا وأهم قيمة؛ لأنها تعود عليه

وعلى غيره بالفائدة التي يحلم بها كل فنان عظيم .

إن مسؤولية الفنان عظيمة الشأن في هذا العالم، فهو يحمل أحلام الأمة صغيرها وكبيرها، وذلك من أصغر حلم إلى أكبر حلم، وكل فنان لا يستطيع التغيير ولا التأثير،هو فنان فاشل " ...و كل فنان لا يعرف آباءه الفنيين إلى تاسع جد ،لا يستطيع أن يكون جزءا من التراث الإنساني ،وهو في الوقت نفسه لا يستطيع أن يحقق دوره كإنسان مسؤول في هذا الكون ." [17] ، والمسؤولية صعبة حتى ولو كانت مسؤولية الأب في أسرته فما بالك بمسؤولية عظيمة كالتي يعانقها الفنان، إنها مسؤولية أمة كاملة، فسلاح الفنان الكلمة وما أعظم الكلمة، لذا فلا بد أن يحاسب الفنان نفسه قبل أن ينطق بهذه الكلمة، ولا بد أن يكون جزءا من هذا العالم بروحه ودمه وأنفاسه، و" إن الفنان يولد في الفن و يعيش فيه ويتنفس من خلاله، وكل فنان لا يحس بانتمائه إلى التراث العالمي، ولا يحاول جاهدا أن يقف على إحدى مرتفعاته فنان ضال . "[18]

وكل فنان ضال، يجب أن يعيش بعيدا عن المجتمع، بل بعيدا عن هذا الكون،وإن كان منتميا إليه؛ لأن آراءه تعبّر عنه فقط ، وهذا الشاعر يسقطه صلاح عبد الصبور

---

[16] . صلاح عبد الصبور : حياتي في الشعر ، دار قرأ ، بيروت ، 1981 ، ص 76 .

[17] . صلاح عبد الصبور : ديوان حياتي مع الشعر ، ص 111.

[18] . المرجع نفسه :ص 111.

من حساباته ويؤيد من يعبر عن هذا التكون بإخلاص قائلا " الشاعر لا يعبر عن الحياة، ولكنه يخلق حياة معادلة للحياة ،وأكثر منها صدقا و جمالا ..." [19] الشاعر الذي تكون له حياة كامنة في نفسية يحافظ عليها كما يحافظ على نفسه، لتصبح هذه الحياة التي يصنعها حياته ومن أجلها يعيش يدافع عنها بالنفس والنفيس؛ لأنه يؤمن بأن بقاءه مرتبط ببقائها وفناؤه يعني فناءها، لذلك يصارع من أجل أن تكون على الدوام في أبهى صورة، وفي أرقى الدرجات كي يتفوق من خلالها على الحياة الأصلية .

ويبقى الشاعر عند صلاح عبد الصبور، هو الكوكب الذي ينير الكون بنوره الذي لا ينتهي؛ لأن " الشاعر في مراحل التأمل والإحساس والإبداع ليس جزءا من العالم لكنه معادل له، وهو يفنى فيه، لكنه يقف إزاءه، وهو يستطيع عندئذ أن يحقق فرديته بل وجدانيته " [20]، وإذا حقق الشاعر بشعره فرديته و وجدانيته، فهو قد حقق نفسه وحقيقته التي يبحث عنها في الكلمة الصادقة التي يصدرها بعد تأجج واحتدام وصراع ذاتي، لينبع وجدانه بمشاعره المحبة والعطاء، داعيا إلى النجاح والاستمرار، وبذلك دافعا ومحببا في الحياة، فهو مؤيدا لها ومناصرا، واقفا ضد الظلم، وبذلك فهو متصديا في كل جولة وفي كل قصيدة شعرية إلى الموت محاربا ولو كانت نفسه ثمنا لذلك، فهو يؤمن بالكلمة الحرة النابعة من قلب ينبض بالصفاء، معمما هذا الصفاء على مساحة الحياة والكون .

فالشاعر الذي لا يستسلم ولا يرفع الراية، ولا يعود إلى الوراء من جراء الاحتدام بل يصارع من أجل نشر الفضيلة والقضاء على الرذيلة، فإن وجد عيبا أصلحه وإن وجد نقصا أكمله، وإن وجد فراغا ملأه وإن وجد مجتهدا أعانه وشجعه، وإن وجد مظلوما أخذ بيده ودفع عنه الظلم وناصره، وإن وجد ظالما حاربه، فهذا هو الشاعر عند صلاح عبد الصبور وعندنا نحن أيضا، و" **إن** شهوة إصلاح العالم هي القوة الدافعة في حياة الفيلسوف والنبي

---

[19]. المرجع نفسه :ص 52 .

[20] . صلاح عبد الصبور : كتابة على وجه الريح ، ص 69

والشاعر؛ لأن كلا منهم يرى النقص فلا يحاول أن يخدع نفسه، بل يجهد ليرى وسيلة الإصلاح، ويجعل دأبه أن يبشر بها " [21] ، إنه الإنسان الأصيل، الذي يرى الحق حقا والباطل باطلا، ولا توجد عنده منطقة وسطى بين البياض

والسواد، هو صادق مع الله أولا، ومع نفسه ثانيا، ومع الكون والمجتمع ثالثا، فهمه الوحيد أن يصلح لا لشيء إلا لأنه يحب الإصلاح من أجل الإصلاح، ويدافع عنه بحياته .

إن صلاح عبد الصبور يرفع من مكانة الشاعر والفيلسوف إلى درجة النبوة، وهذا شرف عظيم، كرّم به كل منهما، وجعله في هذه المرتبة السامية التي نظر إليها صلاح عبد الصبور من جهة الهدف السامي، الذي تحمله رسالة النبي ورسالة الفيلسوف ورسالة الشاعر، فكل منهم يحمل رسالة التغيير، فالنبي ينقل الناس من الضلال إلى الهداية، ومن الظلمة إلى النور، والفيلسوف يبين الإشكالية ،محاولا إيجاد حلول لها ،كي يرى نافذة الخلاص ،فيخلص الشعوب من الأوهام الخرافية التي تكبلهم ، والشاعر برسالته التي تسعى إلى البناء والترميم، وإصلاح العالم من جميع زواياه .

إذن فهدف الشعر هو جعل كل جامد ينطق وجعل الناطق فقيها، والشاعر يبذل جهدا في تحسين صورة الحياة

وصورة كل شيء فيها ، " فبدون الشعر قصائد الطبيعة، لم تكن لتستطيع أن تبث الحياة في المادة الجامدة،

وفي الألوان البكماء وفي الكتل المتراكمة ما حمرة الورد لولا عيون الشعراء ،و ما صفاء النسيم ورقته و غليان البحر و هدير موجه ..."[22]،وكل هذا يعطينا صورة واضحة عن دور الشعر في هذه الحياة، إنه مغير ومحسن

ومصلح، ولو اقتصر دوره على أن يوقظ القلوب الساكنة جاعلا الأمل هدفها المنشود لكفته هذه الخطوة، وهذا العمل النبيل، لكن مهمة الشعر عند صلاح ع الصبور أعم وأشمل من ذلك كله، فهو عنده يجاري الحياة كلها بمتناقضاتها التي لا تنتهي وصراعاتها

---

21 . صلاح عبد الصبور : ديوان حياتي في الشعر ، ص 103 .

22 . صلاح عبد الصبور : قراءة جديدة لشعرنا القديم ، ص 13 .

الثائرة، وهدف الشاعر في ذلك ،هو أن يخمد هذه الثورات ويبطل هذا الاحتدامات، ويسكت كل الأفواه التي تحاول تمزيق السكون .

إنه عمل شاق والشاعر بشعره يغير الكثير في هذا الكون، بل بإمكان أن يخلق كونا جديدا خاليا من النقائص والعيوب؛ لأن الشعر عند صلاح عبد الصبور لا يكتب " بالأفكار وأيضا لا يكتب بالصور العيانية كالأحلام،

ولكن بالكلمات، فلا بد من اللجوء إلى رموز الكلام لكي يستطاع وصف هذا العالم الجديد المتفتح فجأة " [23] ،

وسلاح الشاعر ليس الأفكار ولا الصور، وإنما سلاحه الوحيد هو الكلمة الطيبة، التي إن أخذت مسارها الصحيح فهي تحمل مجدا من الانتصارات لأمة كاملة .

والشاعر الملهم سيكون له سيل من الكلمات النابعة من إحساس فياض ومن وجدان إنسان جرب العديد من التجارب، فصار له زاد كبير يمكنه من وضع الحلول لكل المشاكل ويمكنه من رسم المسارات الصحيحة وتأتي هذه الكلمات الشاعرية " من غنى هذا الشاعر الداخلي غناه بالثقافة وبالتجربة والإحساس " [24] ، فهو متشبع بثقافة أمته وربما بثقافات أخرى، ليصبح عالما من جراء خبرته وتجاربه وإحساسه المرهف، فهو يفرح لفرح أمته ويحزن لحزنها ،فهو يحارب من أجلها ومن أجل تفوقها وازدهارها والتفوق يكون مصدره غنى الإنسان ذاتيا ومعنويا وغناه فكريا ،والغنى الفكري، هو الأساس .

كما يجب على شاعر اليوم يجب أن يعالج كل الأمور بأفكاره قبل أن يطرحها أمامنا وقبل أن يرسمها بكلماته ؛لأن الكلمة هي أداته وسلاحه ،والكلمة التي تنبع من إحساس فياض وتعبر عن تجربة صادقة، و تعالج الأمور معالجة فكرية، وبعد ذلك تُقدّم للآخرين كخلاصة عامة، ستكون أغلى هدية يقدمها الشاعر للمجتمع وللأمة وللحياة بأسرها؛ لأن في تلك الكلمة حياة ثانية ،حياة جديدة كل ما فيها يدعونا للاستمرارية و لتفاؤل والتمسك بالقيم السامية ،هذا هو دور الشاعر الحقيقي ودور الفنان بصفة عامة،

---

[23] . صلاح عبد الصبور : ديوان حياتي مع الشعر ، ص 28

[24] . المرجع السابق : ص 28 .

و" إن الفنان يضيف شيئا إلى الحقيقة والصدق ليصبحا حقيقة فنية و صدقا فنيا ..." (25)

والشاعر دائما في بحث دؤوب عن الحقيقة والصدق، فهما هاجسه منذ بدأ الكتابة، فهو دائما في حالة حركة مستمرة ،وفي شغل لا ينقطع دائما تجده متلهفا للجديد، ناحتا من نفسه كي يسعد الآخرين، ولا ينتظر مقابلا، والطبيعة لا تكون في صورتها الحقيقة إذا تخلى عنها الشاعر أو الفنان إنهما يكملان ما ينقصهما حتى يجعلانها دائما في أبهى صورها فهي دائما تبقى في حاجة إلى تلك اللمسة الفنية التي ترفعها إلى الأعلى ،و صلاح عبد الصبور يُعبّر عن ذلك قائلا :" ...وإذا كانت الطبيعة هي القطب الموضوعي في الفن فإنها لا حياة لها بغير الشاعر أو الفنان ..."[26] .

كما أن الطبيعة ليست هي القطب الموضوعي في الفن فحسب، بل القلب النابض في الإنسان والحيوان والنبات ، وهي مأوى لكل هذه المخلوقات، إنها الحضن الدافئ، والملجأ والمسكن والمأوى، والشاعر عند صلاح عبد الصبور أعظم منها؛ لأنه يستطيع أن يجعلها جميلة في نظرنا أو قبيحة وكأنه بتعبير آخر يتحكم في مصيرها،هذا هو الشاعر الذي يبحث عنه صلاح عبد الصبور شاعر الإصلاح الذي دائما يُجمّل و يلمّع ويحسّن، ويسد كل الثغرات التي من شأنها أن تعرقل وتغلق حياة الإنسان .

فالشاعر هو الذي يسعى لراحة هذا الإنسان، يخلق له عالما جديدا أكثر اطمئنانا و سكينة، ويدعونا الشاعر كي نأوي إليه حينما تتعبنا الحياة ،فنجد المنفذ والمستقر عند هذا الشاعر، وفي كلماته التي تضمد جراحنا وتعزف على أوتار عودنا أعذب وأجمل وأرق ألألحان، التي لم نكن في يوم لنعرفها أو لنسمعها، لولا كلمات الشاعر التي وصلت إلينا من بعد صراع نفسي تخمّر بأعماقه وتكوّن من جراء تجربة مريرة أتعبته كثيرا، لتصل إلينا عذبة رقراقة تمتعنا وتفيدنا، وتجعلنا نسعد حين نقرأها، وتبعث بداخلنا الأمل، لنزرع الأحلام، التي لم تكن في يوم تخطر على أذهاننا.

---

[25] . صلاح عبد الصبور : حياتي في الشعر ، ص 20 .

[26] . المرجع نفسه : ص 52 .

إن الشعرية عند صلاح عبد الصبور " تكون في الشعر الذي يعبر عن الحياة، يدخل بين خباياها مقتحما حدودها متوغلا أرجاءها كاشفا أعماقها باحثا عن أسرارها، مكيف أمورها بطريقة فلسفية، معتمدا على ثقافته وقراءته وتجاربه الخاصة والعامة، وبهذا يكتب الشاعر عن الحياة وعن الكون، ولا يبقى ذاتيا، بل عليه أن يتحمل المسؤولية ،ويكون على علم بالتاريخ البعيد لأمته، كي يتمكن من تكييف الأمور تكييفا سليما وصائبا، والشاعر المبدع في رأيه ،هو الذي يذوب في هذا الكون وفي الحياة ،فيشكل حياة جديدة أوسع وأرحب وأعذب وأجمل، وهذه القصيدة، نجد صاحبها يعالج الأمور بكيفية فلسفية، حيث أن نظرته تحمل عدة أبعاد منها الاجتماعية والسياسية، والإنسانية بشكل عام، التي نراها من أقوى القصائد تعبيرا لواقع الأمة العربية، وهي تحت عنوان" **الطفل الأعمى** " ،ونحن نراها مناسبة لما يدعوا إليه صلاح عبد الصبور حين يقول الشاعر أحمد مطر : [27]

وطني طفل كفيف
وضعيف
كان يمشي في آخر الليل
وفي حوزته
ماء، وزيت، ورغيف
فرآه اللص وانهال بسكين عليه
وتوارى
بعدما استولى على ما في يديه
وطني مازال ملقى
مهملا فوق الرصيف
غارقا في سكرات الموت
والوالي هو السكين

---

[27] . سارة حسين جابري: أعذب قصائد أحمد مطر، دار العوادي ،عين البيضاء ،الجزائر ،2014.

..والشعب نزيف

حين نتأمل هذه الأبيات نجد الشاعر قد ذاب في الوطن، فهو يتكلم بحرقة عن وضع وطنه، الذي استولى اللص على ما كان يحمله هذا الوطن المجسد في طفل صغير لا يستطيع الدفاع عن نفسه، وليست له القدرة في استرداد ما أخذ منه، ويتألم الشاعر ؛لأن وطنه ملقى يحتضر، ولا أحد يبالي به، والوطن يمثل للشاعر الحياة والمستقبل والاستقرار والسعادة فهو يتمنى الخلاص لوطنه، كي يجد الشاعر نفسه ؛لأن حياة الفرد مرهونة بوطنه .

قائمة المصادر والمراجع :

أدونيس :

زمن الشعر، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، 1983 .

مقدمة الشعر العربي ، دار العودة ، ط2 ، 1975 .

أغاني مهيار الدمشقي ، الأعمال الشعرية ، دار المدى للثقافة للنشر ، بيروت ، 1996

صلاح عبد الصبور:

قراءة ثانية لشعرنا القديم ، منشورات اقرأ ، بيروت ، لبنان.

حياتي في الشعر ، دار قرأ ، بيروت ، 1981 .

كتابة على وجه الريح ، منشورات اقرأ ، بيروت ، لبنان.

. سارة حسين جابري: أعذب قصائد أحمد مطر، دار العوادي ،عين البيضاء، الجزائر،2014.

سعيد بن زرقة، الحداثة في الشعر العربي (أدونيس أنموذجا) أبحاث المترجمة و النشر والتوزيع ، ط1، بيروت، لبنان، 2004.